

جماليات التكرار في الحديث النبوي الشريف

د/ رياض بن الشيخ

جامعة الأمير عبد القادر

يمثل الحديث النبوي ثاني نص فني بلاغي راقي المستوى بعد القرآن الكريم ، إذ يستخدم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أساليب فنية بلاغية متعددة بتعدد نفوس البشر فمنها النفس المتشردة و منها الغليظة و منها المراوغة المتفلتة والمتمنعة ، و منها الرخوة ومنها المتصلبة ، لذلك نجده صلى الله عليه و سلم ، يخاطب هذه النفوس كلا منها بما يناسبها من أنواع الخطاب ، فإذا كانت النفس تميل إلى التشدد ، نجد خطاب الحديث أميل إلى الزجر ، و إذا مالت إلى الغلظة ، فإن النبي بحكمته يطببها بالحلم و الصبر وأما إن كانت النفس متفلتة مراوغة، فإنه بذكائه البالغ يقارعها بالحجة ، و في كل أساليب معاملته يتحرى الحكمة و إقناع المتلقي، لأنه يعلم بأن المخاطب بشتى أنواعه يحتاج إلى إزاحة بقايا الشك التي تقبع في العقل و القلب معا ، و إن نفص غبار الشك و الريبة من عمقهما، فن لا يجيده إلا من يمتلك أدواته ، و الحديث النبوي الشريف أبو الفنون بعد القرآن الكريم و يأتي في أعلى درجات البلاغة ، لأن صاحبه صلى الله عليه و سلم أعطي جوامع الكلم ، كما قال عليه الصلاة و السلام " أعطيت...¹" فهو يراعي جميع مستويات العقل ، لأنه في دعوة ، لا يخص بها فئة معينة من الناس ، بل يعني الناس كافة على اختلاف عقولهم و مشاربهم ، فيتطلب ذلك إذن أساليب مختلفة تتوجهها جميعا الحجية و الحكمة ، و من الحكمة مراعاة مقتضى الحال، أي دعوة كل شخص بحسب حالته النفسية و طبيعة انقياده ، و قد كان الرسول صلى الله عليه و سلم حينما خاطب البشرية قاطبة ، تارة يخاطب العقل و يخاطب العاطفة تارة أخرى ، و كان في مخاطبته لذلك و لتلك مجادلا و محاججا من أجل إثبات الحق ، و هذا من أهم الأساليب عنده صلى الله عليه و سلم ، التي يظهر فيها دقة لفظه و قوة عبارته و رصانة أسلوبه ، و تحصل في نفس المتلقي متعة و حلاوة و لذة و طلاوة ، فتكون هي مناط التأثير و الاستدراج و الانقياد ، و من هذه الأساليب الإقناعية المتنوعة التي يوشح بها الرسول صلى الله عليه و سلم خطابه و يكسبه تأثيرا بالغا في السامع أو القارئ معا أسلوب بلاغي فني قوي كان يعتمد عليه فيما كان لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، أي كلامه صلى الله عليه و سلم، ألا و هو أسلوب أو آلية التكرار.

¹ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، حديث رقم 523 كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، من حديث أبي هريرة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 1954 ج 1، ص 372

بلاغة التكرار في الخطاب النبوي :

تندرج آلية التكرار ضمن أنواع الأدوات الفنية المتاحة في اللغة العربية ، التي تستخدم في ترصيع الكلام و توشيحه و تزيينه و توكيده بغية الإقناع ، و لذلك نجد هذه الآلية الإقناعية تبرز في الحديث النبوي فتكون على رأس تلك الآليات أو الأدوات ، و أقواها إقناعا عند العلماء و الدارسين المهتمين بالشؤون النفسية الذين أدركوا من خلال التجربة، بأنه لكي يتحول مجرد انفعال الشخص إلى عاطفة لا بد أن يحدث أكثر من مرة واحدة حتى يرسخ في النفس¹ و قد أشار إلى هذا البعد القيمي أنس بن مالك رضي الله عنهما في رواية عن الرسول صلى الله عليه و سلم " أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً "².

و تجدر بنا الإشارة إلى أن التكرار يتفرع من آلية بلاغية أكبر و هي الإطناب أو كما تعارف عليه البلاغيون المحدثون بالتمطيط الذي شاع استعماله في الدراسات الحداثية الأجنبية على الخصوص³ ، و هو " كون الكلام زائدا عما يمكن أن تؤدي به من المعاني في معتاد الفصحاء لفائدة تقصد"⁴ و قد تقيّد هذا المفهوم بشرط حصول الفائدة من الزوائد اللغوية التي تقتحم البنى الأصلية للنص ، حتى لا تكون مجرد حشو أو تطويل معييبين و ممجوجين ، و قد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله : " الإيجاز في غير عجز و الإطناب في غير خطل"⁵ و قد تعارف الدارسون و النقاد على أن لاستعمال الإطناب مسوغين : الأول نفسي ، حيث يحقق الراحة و الفسحة للتعبير عن الموقف ، و الثاني بلاغي يتعلق بقارئه أو سامعه ، من حيث إخباره بمحتوى و معاني النص و إمتاعه بشكله و مبناه المتماهية مع أفكاره و تصورات⁶ ، و من الطرائق إذن التي يحصل بها الإطناب المفيد في غير خطل – كما قال الجاحظ – التكرار أو التكرير : Répétition ، فهو ظاهرة بلاغية جمالية لم تحظ لدى الناقد العربي القديم بالاهتمام المطلوب ، و لم يوظفها كصورة فنية ، بل الذي حدث هو العكس تماما إذ اعتبرت سلبية تتردى بمستوى النص إلى الابتذال و الرتابة ، رغم وجود التكرار كظاهرة لغوية في تراثنا

¹ علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حديث رقم 95 ، كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، مكتبة الإيمان ، القاهرة / مصر 2003 ، ج1 ص 227

² محمد عثمان نجاتي : الحديث النبوي الشريف و علم النفس ، دار الشروق ، ط/4 القاهرة 2000 م ص 176

³ محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية الناص ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء / المغرب 1986 ، ص 125

⁴ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها ، دار القلم للطباعة ، دمشق ، ط/1996 ص 60

⁵ الجاحظ : البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة / مصر 2006 ، ج1، ص 97

⁶ حميد حماموشي : آليات الشعرية بين التأصيل و التحديث – مقارنة تشريحية لرسائل ابن زيدون ، عالم الكتب الحديث ، الأردن 2013 ،

الأدبي ، كما في أسلوب القرآن الكريم ، إلا أن الدراسات النقدية و البلاغية تصدت للحؤول دون تكريس هذا الحكم المسبق و العفوي على بلاغة التكرار ، بتسليطها الضوء على قيمته الأسلوبية المتجلية في وجوه لغوية و جمالية كثيرة ، و يعد الجاحظ من الأولين الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة الأسلوبية ، مبينا محاسنها و مساوئها على حد سواء ، فقال : " ليس التكرار عيًّا ما دام لحكمة كتقريب المعنى أو خطاب الغي أو الساهي ، كما أن تردد الألفاظ ، ليس ما لم يجاوز مقدار الحاجة و يخرج إلى العبث " ¹ ، فدل على أن هذه المزية الشائعة في الكلام العربي و المتداولة على الألسنة لها حدود و ضوابط ، تتناسب مع المقام الذي يؤول إلى الفهم ، كما حظي التكرار باهتمام كل من ابن رشيق و ابن الأثير و قسامه إلى أقسام مفيدة و غير مفيدة ² ، حيث اعتبر ابن الأثير أن استعماله يكون للدلالة على العناية بالشيء الذي تكرر فيه الكلام ، إما على سبيل المبالغة أو المدح أو الذم أو نحو ذلك ³ لكن الدراسات اللغوية و البلاغية الحديثة ، نحت به منحى جديدا ، حين اعتبرته ضرورة من ضرورات الجمال في أي نص من النصوص الأدبية الإبداعية ، و لا بأس من إيراد بعض الآراء لشعراء و نقاد معاصرين ، حول قيمة التكرار في إنشاء النص ، حتى نمزج بين الآراء القديمة و الحديثة فيحصل الإدراك الجيد للجمالية المقصود البحث فيها و من بين هؤلاء مثلا ، ترى نازك الملائكة في كتابها "فضايا الشعر المعاصر" " أن التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، و يكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر و يحلل نفسية كاتبه " ⁴ فتعتبر نازك الحالة النفسية التي تتور الشعراء ، سببا جوهريا لحضور التكرار أثناء أثناء الكتابة وتوارده في ذهن الكاتب، و يرى هؤلاء المهتمون كذلك أن التكرار يكتسب جماليته كبديل فني في النص الأدبي المعاصر ، حيث أصبح يدخل ضمن العناصر المكونة للبناء النصي لفظا و معنى و إيقاعا ⁵ ، و من الباحثين المغاربة أيضا من اهتم بهذه الظاهرة الجمالية مثل مُجَّد بنيس، الذي يرى بأن التكرار له علاقة بالتوضيفات اللغوية التي يجريها الشاعر في نصه ، إذ يستخرجه في

¹ الجاحظ: البيان و التبيين، ج1، ص79

² انظر ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت / لبنان ، ط 5 / 1981، ج2 ص 92

انظر ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت/لبنان 1999، ص 147

³

⁴ نازك الملائكة :فضايا الشعر المعاصر ، مطبعة دار التضامن -بغداد -العراق، ط/2-1965 ، ص 242

⁵ عبد القادر عبو: فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2007 ، ص 165

الاستعاضة به عن أدوات الربط التي قد تسيئ إلى جماليات النص و القلة من استخدامها " ترفع عنه عبء الرتابة ، و تطلق له حرية الانسياب الباطني الذي يمتح منه الشاعر"¹ و يرى مُجد مفتاح أيضا أن " تكرر الأصوات و الكلمات و التراكيب ، ليس ضروريا لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية و التداولية ، و لكنه شرط كمال أو محسن أو لعب لغوي ، و مع ذلك فإنه يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعية"².

و نعتقد أن التكرار بالإضافة إلى كونه آلية أسلوبية و بلاغية ، فإنه يحوز أيضا الصفة التبادلية ، لأن الغرض الأساسي منه ، هو تحقيق التواصل بين الشاعر و القارئ ، فلا تتحقق غاياته التأثيرية و الجمالية المتجاوزة لمستوى الإخبار و التوصيل ، إلا بالتكرار حين يختاره الشاعر قاصدا جعله كوسيلة يقوم من خلالها بعدة وظائف في نصه كالنفسية و الجمالية مثلا ، حيث يقوم التكرار بوظيفته النفسية فيكون بمثابة المفرغ للشحنات الانفعالية الشعورية ، و يقوم بوظيفته الفنية و الجمالية المستطرفة ، فيكون مؤكدا مثبتا للمعاني المنتشرة في النص و ممكنا لها في ذات المتلقي ، الذي يتابع تناميها و تصاعدها من خلال التكرار و دوره الفاعل في تكثيف البث الایحائي و الجمالي.

و تأتي في هذه الورقة البحثية لنطبق هذه المفاهيم البلاغية و الأدبية على نص الحديث النبوي الشريف الذي أوتي جوامع الكلم ، حيث استخدم الرسول صلى الله عليه و سلم آلية التكرار ، و كان من بين مقاصد استخدامه له حصول المتعة و القناعة معا مما يحتويه الحديث من ألوان الجمال و الفصاحة ، و كان التكرار أقوى الأساليب اللغوية النبوية لتحقيقهما ، و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يقصده قصدا متعمدا ، ليس عن عجز في التعبير ، بل كان يصطنعه إذا وجد لذلك ضرورة و التكرار في موضعه في مفهوم البلاغة و الفصاحة النبوية هو كالحاجة إلى الإيجاز تماما ، الذي كانت تفضله العرب في فصاحتها و لاستعمال التكرار في الحديث النبوي أشكال أو أنواع سنأتي على بعضها بشيء من التفصيل :

1 - جماليات تكرار اللفظ :

اعتبر علماء البلاغة العرب القدماء بلاغة اللفظ و عذوبته هي سر الجمال و الإعجاز في الكلام عموما و جمال الأدب خصوصا ، و حصروا فصاحة المفردة الواحدة منفردة في عدة مزايا ذكرها ابن سنان الحفاجي في كتابه " سر الفصاحة " فتمتاز اللفظة بحروفها المعتدلة المتباعدة المخارج و ليست

¹ مُجد بنيس : الشعر العربي الحديث - الشعر المعاصر ، دار توبقال - الدار البيضاء 2001 ، ص 76

² مُجد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناس ، ص 39

من غريب اللفظ الذي يصعب استيعابه و فهمه أو من مبتذل الكلام الذي يكره سماعه¹ فجعل البلاغيون هذه الشروط أساسا في إحداث الجمال الفني في صياغة النص المنطلق من اختيار الألفاظ و سلامة نطقها و انسجام أصواتها ، و تحقيق الإيقاع فيما بينها ، و قد ذهب عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" إلى أن الكلمة المفردة تكسب جمالها من ارتباطها بكلمات أخراة سابقة عنها أو لاحقة بها و يقصد بذلك وجود المفردة في السياق الذي ترد فيه ، فتجعل لها وظيفتين نحوية و أخرى بلاغية يكون الهدف منهما إحداث المتعة في خوالج المتلقي ، و يعبر عن ذلك بقوله :

" لا نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض و يبنى بعضها على بعض ، و تجعل هذه بسبب تلك ..."² ، و كمثال على ذلك من القرآن الكريم :لفظة "اشتعل" في قوله تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَمَا أَكُنُ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا"³ ، فلم تكن اللفظة تكتسب هذه الفصاحة و الجمالية و براعة التصوير لولا ورودها في سياق ارتبطت فيه بالرأس و الشيب و يرى حسين جمعة في كتابه "جمالية الكلمة" أن اللفظة الواحدة ذات إحياءات كثيرة ، فكيفما وضعت و قلبت أدت المعاني المرادة منها التي لا تنفذ ، و يدل على ذلك قوله تعالى : " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"⁴

و تبرز براعة الرسول صلى الله عليه و سلم في اختيار ألفاظه ، و مراعاة الفروق الدقيقة بين معانيها ، حيث تتجلى جمالية اللفظة النبوية في قدرة النبي عليه الصلاة و السلام على التعبير و التصوير ، فيجعل متلقيه و كأنه يستقبل لوحة فنية غاية في الجمال و المتعة و الباحث في ألفاظ الرسول صلى الله عليه و سلم يجده يغترفها من معجمه اللغوي الخاص الذي وهبه الله عز و جل أياه و ما نشأته و ترعرعه في بيئتين الأول حضري والثاني بدوي، إلا دليل على خصوصية معجمه و فخامة فصاحته و متانتها و وضوح دلالتها ، و قد عبر عن ذلك بقوله : أنا أفصح العرب بيد أي من قرش، و من أمثلة تكراره صلى الله عليه و سلم للفظة واحدة ، تكريره للفظ الجلالة الدال على الألوهية حين يقول " الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك"

¹ ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة وما بعدها ، دار الكتب العلمية ط 1 بيروت / لبنان 1982 ص 64

² عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط 2 القاهرة . مصر 1989 ، ص 55

³ سورة مريم - الآية 4

⁴ سورة الكهف - الآية 109

أَنْ يُأْخُذَهُ " ¹ كما كرر عددا من الألفاظ الأخرى (أصحاب - أحب - أبغض - آذى) و في هذا دلالة على أن النبي عليه الصلاة و السلام ، تملكه علاقة الود و المحبة اللتين يكنهما لصحابته رضوان الله عليهم ، و إكرامهم و إعلاء شأنهم يحمل دلالة المكانة التي يحتلونها في نفسه و عند الله سبحانه و تعالى أيضا ، كما تشي مقابلة الجمل ببعضها ، على حرصه على توقيهم و الالتزام باحترامهم ² لأن ذلك له علاقة بصدق العقيدة و الإيمان و لعل هذا الحرص الذي يظهره الرسول صلى الله عليه و سلم ، مرتبط بالعامل الزمني ، لا في حال وجوده بينهم فقط ، و لكن التركيز أكثر على الزمن الذي يأتي بعد وفاته ، و يربط حتمية الاحترام و الإكبار للصحابة بمسألة أهم و هي الاتحاد الذي يشكل سداد الأمان لبقاء و سلامة و رسوخ العقيدة الإسلامية من بعده عليه الصلاة و السلام.

و يلاحظ في النص النبوي أن لكل لفظة ضمن السياق دلالتها ، و تكرارها يفضى إلى الانتباه إليها ، فتقوم بتأكيد الغاية التي وردت من أجلها في نفس متلقيها ، و يزيد في تأكيدها ، الأثر العاطفي الذي يحدثه ذلك التناغم ما بين أجزاء التركيب النصي و يرد تكرار اللفظة أيضا في مثال آخر يقول فيه الرسول صلى الله عليه و سلم : " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي " ³ ، هذا الحديث يحمل الدلالة على التنبيه على أن أعز الناس عند الشخص و أحقهم بخيره و مودته هم أهل و كررها مرتين كما كرر الأشخاص الذين هم أحق بصنيع خيره و خصهم بلفظة "خيركم" و كررها للدلالة على الأسبقية و أحسن المكانة و الرتبة ، لأنه يوجد في حياة الشخص من يستحقون معاملته لهم بالخير هم أيضا ، لكن الأسبق و الأكثر هم أهله ⁴ ، و لا بد أن نشير إلى أن الرسول صلى الله عليه و سلم ، يضع في حديثه كل كلمة في مكانها الصحيح و المناسب للمعنى الدقيق الذي وضعت له ، لأن الكلمة العربية تحوي في ذاتها خاصية تميز بها ، كما يمتلك مكنة ربانية في التصرف بالمفردات فيجعلها ملائمة للسياق و مراعية للمقام .

2 - جمالية تكرار الحرف.. الصوت:

¹ محمد عيسى الترمذي: الجامع الصحيح، حديث رقم 3862 في فضائل الصحابة ، باب في من سب الصحابة من حديث عبد الله بن مغفل وزارة الشؤون الإسلامية و الدعوة و الإرشاد. السعودية 2000 ، ج 5 ، ص 696 .

² عزالدين علي السيد : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، دار إقرأ ، ط1مصر /1984 ص 90

³ محمد عيسى الترمذي: الجامع الصحيح ، ج 5 ، ص 369

⁴ عزيز العمراني الإدريسي : مستوى الإيقاع في الحديث النبوي الشريف -مجلة شبكة ضياء عدد /10. 2017. ص 48

ما يمكن ملاحظته في المجال الصوتي في اللغة العربية ، أنها ذات جوانب متعددة و خصائص متباينة¹ ، تجعلها معقدة ، و يصعب على الشخص اللغوي إخضاع عملية تكرارها على قاعدة معيارية قائمة بذاتها ، تسهل معرفتها و القبض عليها في النص بحسب تلك القواعد ، إنما يتركز ذلك على الذوق ، فهو الآلية أو الأداة الوحيدة التي تستميز بها جمالية التكرار الصوتي، و سبب ذلك اختلاف دلالة الحرف حسب موقعه في سياق الكلام، فقد تحصل بتكراره زيادة في المعنى ، و تصويره للوابع و خوالج المتكلم ، و لعل لفيفا من علماء اللغة العربية من اهتموا بهذا النوع من التكرار مثل ما فعل ابن جني في كتابه: الخصائص حينما ذكر الزعزعة و الققللة و الصلصلة² و لكن بصرف النظر عن هذه الصعوبة و التعقيد و التباين التي تتسم بها الحروف ، لأنها باتفاق علماء اللغة تحدث ترنيما إيقاعيا لا يمكن تلافيه في النص ، إذ يعبر عن دلالة الانفعال النفسي و التأثير الملموس في القارئ أو السامع ، و يهيئهما للدخول في محتوى أو مضمون النص³ و يكون لتكرار الصوت حينئذ وظيفة جمالية و وسيلة لتقوية العواطف و المشاعر عندهما و مثال ذلك من الأحاديث النبوية ، الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه و هو قوله صلى الله عليه و سلم مخاطبا إحدى النساء قائلا : "يا أم السائب مالك تزفزين"⁴ فيمنح الرسول صلى الله عليه و سلم معنى جديدا لهذه الكلمة المألوفة في اللغة العربية بمعنى آخر قد تواضعت العرب عليه ، بالإضافة إلى جرسها و نغمها الذي يكسب المعنى تشخيصا أكثر و تقريبا من السامع ، فإنه يحمل دلالة معينة يوضحها السياق ، تتعلق بالحالة المرضية التي أصابت المرأة و هي إصابتها بالحمى الشديدة المصحوبة برعشة مفضية إلى الهذيان و من أمثلة الأحاديث النبوية الأخرى ، التي يحدث فيها انسجام في الحروف ، و جرس ترنيمي هائل ، تتفاعل معه الروح ، و يتناسب مع السياق ، الحديث المروي عن البخاري أن الرسول ﷺ يخاطب أحد جلسائه قائلا له : " يا فُلان، إذا أُويتَ إلى فِرَاشِكَ فقل: اللَّهُمَّ أَسَلِمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجِيَّ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ، وَإِنْ

¹ كمال مجد بشير : علم اللغة العام (الأصوات) ، دار المعارف ط4 القاهرة ، مصر 1970، ص216

² عثمان ابن جني : الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 القاهرة / مصر ، ج 2 ص 153

³ موسى ربابعة : التكرار في الشعر الجاهلي -دراسة "أسلوبية -مجلة مؤتة م 5، ع1، الأردن ص 167

⁴ أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم ، الحديث رقم 2575 كتاب البر و الصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحوه ،

تحقيق مجد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت/لبنان ، ج4 ، ص 194

أَصْبَحَتْ أَصْبَبَتْ حَيْرًا»¹ فيلاحظ بأن حرف التاء قد تكرر اثني عشرة مرة ، و هو حرف يتناسب مع السياق الذي ورد الحديث بشأنه ، و الزمن الذي يحدث فيه و هو وقت النوم الذي يشبه الموت المؤقت ، الذي تتلاشى فيه الروح و الجسد معا و يسلمان إلى بارئهما في طمأنينة و سكينه تظهران عند النائم .

ثالثا: جمالية تكرار العبارة:

يحدث تكرير العبارة هو أيضا أثرا إنفعاليا في نفس المتلقي و يشعره بالجمال بسبب فنية التكرار، وفق نسق تعبيرى معين ، يجري فيه تكرار المقاطع المكونة لمجموعة من الألفاظ إيقاعا متناغما ، يولد لدى السامع أو القارئ تأثيرا عميقا و انسجاما نفسيا ، و قد ورد هذا النوع من التكرير في خطبة حجة الوداع التي يستهلها بقوله صلى الله عليه و سلم : " إِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ " ثم يختم خطبته بقوله : "اللهم أشهد"² يكررها ثلاث مرات . ، تكرار تبرئة للذمة من ناحية ، ثم تأكيد عدم تقصيره في تبليغ الدعوة الإسلامية التي بعث من أجلها من ناحية أخرى ، و أن ما يقع من تردد و تحاذل بعد اتباع الدين الجديد فإن تبعته ستكون على القوم الذين بعث فيهم، فهم الذين سيتحملون وزره.

و في تكرار العبارة "اللهم أشهد" دلالة على ثقل عبء التركة و مسؤوليتها العظيمة . و من الأحاديث النبوية الأخرى التي تكررت فيها العبارات فتدل دائما على الأثر الواضح الذي تركه في وجدان المتلقي، بسبب الانسجام داخل السياق ، و الوقع الناجم عن فنية التكرار على نسق تعبيرى معين مثل قوله صلى الله عليه و سلم " رحم الله عبدا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا قضى ، سمحا إذا اقتضى "³ فتكررت عبارة "سمحا إذا" أربع مرات ، لتحدث تناغما لافتا ، و تناسقا مبهرا و لاسيما عندما تساوت الفواصل حيث تتساقق لإنتاج المعنى بجمالية ممتعة و نعثر على الملامح المعنوية و الفنية النسقية ذاتها في حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه و سلم فيه: " السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرِيبٌ مِنَ الْخَيْرِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ الْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الْخَيْرِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ؛ وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَالِمٍ

¹ علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد -باب قوله تعالى: " أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون " ،

ج11 ، ص 94 .

² أبو الحسين مسلم : صحيح مسلم ، الحديث رقم 1218 ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه و سلم ، ج2، ص 88

³ جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية ، ط6 بيروت . لبنان 2012 ، ج2ص12

بخيل" ¹ هذا النوع من التكرير الذي يحدث الترادف و التضاد في آن ، يزيد من قوة المعنى و يضفي جمالية يسببها تقابل المعنيين ، بتضاد صفتي البعد و القرب و يكونان وحدة متلاحمة ، و نسج نغمي يأسر الأذن و يرصف القلب ، و يهيمن على العقل. و في تكرار عبارة " رغم أنف رجل " تأثير فني يرهف حس السامع ، و يضفي على نص الحديث رونقا و جمالا حين يقول النبي صلى الله عليه و سلم « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُعْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ² ». يلاحظ تطريز للتركيب ، و تطريب للنص يحدثه التناغم الصوتي الذي يأسر القلب و اللب معا، و يولد لدى السامع قدرة فائقة على استراق السمع و لدى القارئ قدرة مثلها على شدة الانتباه يفضيان بهما إلى إحساس فريد بالمتعة، و التشوق إلى تلافي الوقوع في مغبة الخطأ و التقصير .

و إن من التكرارات التي لاحظناها سابقا و نلاحظها أيضا في أحاديثه صلى الله عليه و سلم ، إفادتها لتوكيد الحدث أو الفعل ، و لفت إنتباه المتلقي للفكرة أو المعنى المقصود في السياق ، و الإلحاح على التشبث به ، كما في قوله صلى الله عليه و سلم : « الله الله ربِّي لا أشركُ به شيئا ، الله الله ربِّي لا أشركُ به شيئا ³ »، حيث تكررت العبارة مرتين للدلالة على جلب الانتباه بشدة ، يقود إليه تناسق الكلمات و تكرارها في مكانها المناسب ما يزيدها جمالا و بهاء.

ثانيا: تكرار المعاني

لم يقتصر الرسول صلى الله عليه و سلم على تكرار الكلام الملفوظ فقط للغايات التي ذكرناها بل استخدم المعنى أيضا و كان الهدف من ذلك هو التأكيد على أهمية محل الحديث ، فيقوم بعرض المعاني بطرائق و ألفاظ مختلفة و لعل أهم مزية تبرز في هذا النوع من التكرار هي دفع الملل عن المتلقي سواء كان قارئاً أم سامعا، ⁴ و من آيات امتلاك الرسول صلى الله عليه و سلم لناصية اللغة العربية و اطلاعه على أسرارها ، أنه كان يختصر له الكلام اختصارا ، إلا أنه و إن كان قليل اللفظ ، فإنه يحتوي على كثير من المعاني و الحقائق الجمالية ، و سنجتزئ بنموذج حديث يبرز سمة تكرار المعنى لعله يكفي للدلالة على القوة اللغوية و البيانية التي يمتلكها النبي عليه الصلاة و السلام ، فقد أراد أن

¹ المصدر نفسه ، ج 2 ص 67

² المصدر السابق : ج 2-ص 15

³ ابن حبان : صحيح ابن حبان ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف القاهرة . مصر 1952 : ج 3 ص 146

⁴ ابن قتيبة الدينوري : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان 2007 ، ص 152

يبين أهمية النية في أعمال المسلم ، و قد عبر على ذلك ، بعبارات مختلفة لكنها تدل على واحدة المعنى من خلالها في قوله : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ¹ » فقد عمد الرسول لمعرفته بقيمة النية في ممارسة الأعمال التعبدية التي يراد التقرب بها إلى الله عزوجل ، إلى تكرار معناها و إبرازه في حلل لغوية مختلفة الألوان ، و في صور موشاة بزخرف زادها طيبة و جمالا .

الخاتمة :

إن سمة التكرار التي اتكأ عليها النبي صلى الله عليه و سلم ، قاصدا منح خطابه للبشرية و لاسيما الناس الذين عاصروه ، سهولة في التلقي و الاستقبال برحابة صدر ، و رهافة حس و فيض نفس ، فلم يكن التكرار الوارد فيها مقحما إقحاما محشوا يقرع الأذن فيمجه السم و ينصرف عنه العقل ، و يرغب عنه القلب ، إنما جاء عفو الخاطر بسجية و أريحية تبعث الاطمئنان في الذات ، فتفاعل مع محتواه بإرادة و انشراح ، و تتذوق لذته و متعته الجمالية التي تنعدم مثلتها في خطابات البشر قاطبة .

¹ علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح البخاري ، الحديث رقم 1 ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه و سلم، ج 1 ، ص 15